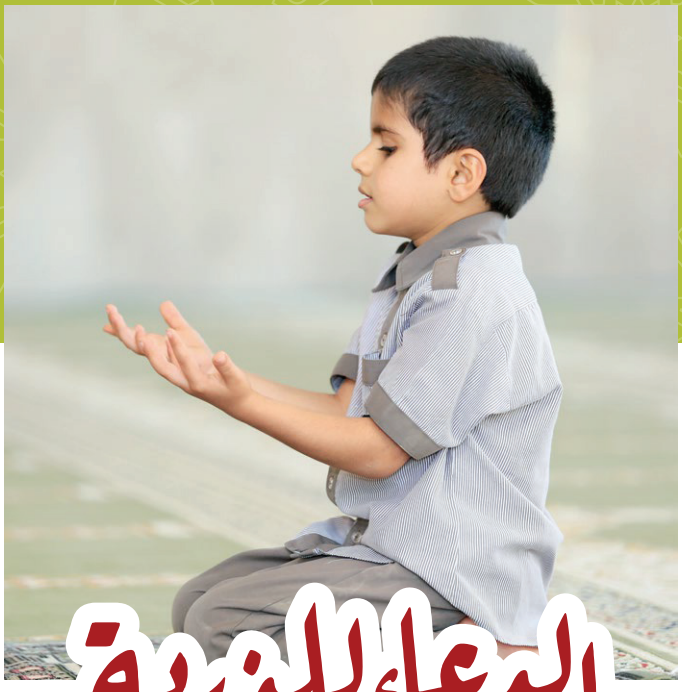

الدعاء للذرية
في القرآن الكريم

أجراه الله على قلم عبده

عبد الله بن عامر العيسري

برعاية

مدرسة القارئ العبقري

درجات للتعلم عن بُعد

سدرة Sedrah

الدعاء للذرية
في القرآن الكريم

أجراه الله على قلم عبده
عبد الله بن عامر العيسري

الدعاء للذرية في القرآن الكريم

تأليف: **عبدالله العيسري**
تصميم وإخراج: **دائرة التصميم بمجموعة العيسري**
الطبعة الثالثة ١٤٤١ هـ - ٢٠٢٠ م

إبْرَاء، سَلْطَنَةُ عُمَان
حقوق النشر لكل مسلم؛ شرط ألا يكون النشر تجارياً،
ولا يغير من النص أو التصميم شيئا.

برعـايــة

مدرسة القارئ العبقري
درجات للتعلم عن بُعد
سدرة Sedrah

الحمد لله

والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى من اهتدى بهداه، وبعد:

فهذا الكتيب اقتطعته من كتابي (الذرية في القرآن)، وهو كتاب لم أنشره بعد ولم أتمه .. دعاءكم لي بأن يوفقني الله لإتمامه، وبأن يتقبله ويجعله خالصا له .

وقد عجلت بنشر هذا الكتيب ليكون هدية مني للمسلمين في عيد الفطر المبارك من عام 1439؛ وأدعوكم لتداوله بالواتساب وفي حسابات التواصل الاجتماعي؛ لنكون شركاء في بيان القرآن للناس .

أخوكم

عبد الله بن عامر العيسري

مقدمة

كان صاحبنا ينتظر أول ولده بفارغ الصبر .. كانت الأيام تمر ثقيلة وئيدة .. وزوجه تعيش ساعات ترقب أشد؛ فقد حملته وهنًا على وهنٍ، وكلما اقتربت ساعة المخاض زاد الشوق لهذا القادم المعلوم المجهول

كان صاحبنا آنذاك لا يعرف لغة غير العربية، فطفق يذرع المكتبات، ويزور المعارض، ويسأل السابقين؛ لعله يجمع أكبر قدر من كتب التربية فيقرأها، لا سيما أن نغمة المحاضرين - آنذاك - تلح على ضرورة الاستعداد لتربية الولد قبل أن يخرج من عالم الغيب إلى عالم الشهادة.

في تلك الحقبة كانت كتب التربية - التي وجدها - تنقسم إلى قسمين:

- **كتب إسلامية**: تركيزها ينصب على أحكام المولود؛ من ذبح العقيقة وحلق الشعر والتسمية في اليوم السابع، ونحو ذلك والسمة الغالبة على تلك الكتب أنها تحذر من مشكلات شائعة كالتدخين والانحراف ونحوهما، ولكنها قلما تقارب تقديم اقتراحات للعلاج، وإن قدمتها فهي عمومات لا تراعي خصوصية كل مرحلة عمرية على حدة.

ـأما النوع الثاني فهي **كتب مترجمة عن الإنجليزية**، وعناوينها تقارب قضايا شائكة؛ فلا تكاد تجد قضية تشغل بال المربي إلا وجدت لها ذكرا في تلك الكتب

وعلى أن صاحبنا درس الإنجليزية بعد ذلك، فوجد أن غير المترجم أكثر تفصيلا مما وصله من كتب مترجمة، ولكن الرابط يبين ذلك النوع من الكتب أنها كلها مبتوتة الصلة بالغيب والروح، وكثير منها يعتمد على أساطير صدقها أصحابها؛ مثل نظرية فرويد المعتمدة على أسطورة عقدة أوديب.

ومرت السنين .. وغدا صاحبنا مسؤولا عن رعية من بنين وبنات، وطال بحثه عن مرجع يشفي غلته فلم يجد، إلى أن أذِن الله بالفتح على حين غِرَّة؛ فسمع صوتا يناديه من أعماق روحه أن الله تعالى يقول:

﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾

وذا يوم جلس قبالة الكعبة المشرفة، وطفق يقلب صفحات القرآن صفحة صفحة، وكلما مر على آية لها علاقة بالذرية كتب ما يشير إليها، ثم خرج من المسجد الحرام بعد صلاة العشاء، وفي نفسه يهرول الحزن والفرح؛ أما الحزن فلِمَا مضى من سنين ظل يبحث فيها عن المخرج وهو بين يديه، وأما الفرح فلِأن الله تعالى أراد به الخير فهداه إلى أن يتدبر آيات #الذرية_في_القرآن ، وأن يصبر نفسه مع

المتدبرين؛ لعل الله يفتح لهم من خفي ألطافه.

لقد وجد صاحبنا أن القرآن هو الكتاب الوحيد الذي يعود بنا إلى لحظة الخلق الأول؛ لنعرف سجايا آدم وبنيه؛ فيسهل علينا معرفة سجايا ذرياتنا الذين خُلقوا، والذين ما زالوا في عالم الذر.

ولقد وجد صاحبنا أن القرآن أشار إلى علاقات الوالدين بأبنائهم وذريتهم وهم أجنة، وقص لنا قصصا وقدم قواعد للحظات المخاض، ثم الميلاد، ثم الرضاع، فالطفولة، فالفتوة، فالشباب، فالكهولة، فالشيخوخة والهرم، وكل لحظة منها تكشف علاقة الوالدين بأبنائهم.

ولقد وجد صاحبنا أن قصارى ما استطاعته كتب التربية الغربية أن تحدثك عن علاقتك بأبنائك، فإن مدت الحديث فهي تحدثك عن الجيل الأول من أحفادك، أما القرآن فيحدثنا عن طموح أبينا إبراهيم بأن تكون الإمامة في ذريته؛ والذرية تشمل كل نسله إلى قيام الساعة.

إن هذا الشعور بالمسؤولية عن الذرية لن تجده في كتاب آخر غير القرآن.

ولقد وجد صاحبنا أن الكتب التي صنعها البشر بعقولهم المحدودة لربما حدثتك عن وردة يضعها

الولد فوق قبر أبيه وأمه أو قبور بنيه في مناسبات سنوية، ثم يمضي غير لَاوٍ على شيءٍ.

أما القرآن فهو يحدثنا عن علاقة لا تنقطع؛ إنها علاقة الدعاء باللقاء الأبدي السرمدي في جنة الله

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ٢١ وَأَمۡدَدۡنَٰهُم بِفَٰكِهَةٖ وَلَحۡمٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ٢٢ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأۡسٗا لَّا لَغۡوٞ فِيهَا وَلَا تَأۡثِيمٞ ٢٣ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ غِلۡمَانٞ لَّهُمۡ كَأَنَّهُمۡ لُؤۡلُؤٞ مَّكۡنُونٞ ٢٤ وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ٢٥ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ٢٦ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ٢٧ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ٢٨ ﴾ (الطور ٢١-٢٨)

ولطالما منّى صاحبنا نفسه بأن يتدبر الآيات المتعلقة بالذرية في القرآن آيةً آيةً، فكانت ذنوبه تحجب عنه التوفيق لذلك وها هو في صبيحة أول يوم من رمضان واقف منكسر النفس بين يدي ربه، معترفا بذنبه، لائذا بحمى رب الموفين والمقصرين، راجيا أن يرده مولاه إلى حماه

وكتبه عبدالله بن عامر العيسري

غرة رمضان ١٤٣٧

مسجد الخويلية - إبراء

الفصل الأول

قصة الخلق
ودلالاتها التربوية

جاءت قصة خلق أبينا آدم في سور عدة من كتاب الله، وفيها إشارات كثيرة للفطرة التي فُطر عليها، وورثتها ذريته من بعده.

وقبل الحديث عن تلك الإشارات نقف قليلا مع الخلق الذين حضروا ذلك المشهد؛ لنذكر أنهم كانوا ثلاثة أجناس:

١. **الملائكة**: وهم خير مطلق مبرؤون من كل خطأ ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ (الأنبياء ٢٦-٢٧)

٢. **إبليس**: وهو شر مطلق باعترافه الصريح ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ (الأعراف ١٦-١٧)

٣. **آدم**: وهو مخلوق وقد رُكِّبت فيه القدرة على أن يسمو على الملائكة؛ فأمرهم الله بالسجود له، كما ركب فيه النقص وإمكان الوقوع في شرك الشيطان.

إن الآيات التي قصت علينا القصة ذكرت الجانبين عن أبينا آدم؛ فهو من ناحية:

- خليفة الله ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾
- مُعَلَّم ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾
- مُكرَّم ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ ﴾

ولكنه من الناحية الأخرى:

- يخدعه الشيطان ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾
- سريع النسيان ﴿ فَنَسِىَ ﴾
- ضعيف العزم ﴿ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾

وهو مع هذه الخصال منحه الله القدرة على سرعة العودة إلى نجد الخير ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ (البقرة ٣٧)

هذه بعض ملامح قصة الخلق، وهي بينة لا غموض فيها، ولكنها - مع وضوحها - قلما يستحضرها المربون حين يتعاملون مع أبنائهم وذرياتهم، وأحسب أن كثيرا من أبعادها التربوية مغيبة، فمن ذلك:

١. يغيب عن المربين أن الشيطان عدونا الأول، وحين يتصارع الأبناء أو تبدر منهم مخالفات قلما تُستحضر هذه الحقيقة؛ فيستمر الآباء والأبناء في التراشق وتبادل التهم، تتقد نار العداوات بينهم، ويستمر الشيطان في كيده ومكره.

وقد فصلت ذلك في كتابي (لماذا يتصارع الأطفال؟ - حلول عملية من هدي القرآن)

٢. حين يتعامل الآباء مع أبنائهم فإن بعضهم لا يتغاضون عن أخطاء بعضهم بعضا؛ وما ذلك إلا نتيجة للغفلة عن أن هؤلاء الأبناء قد ورثوا الخطأ والنسيان من أبيهم آدم -عليه السلام-.

٣. ويقابل هذه الفئة فئة ينظرون إلى أبنائهم وكأنهم ملائكة؛ فينساق الأهل وراء تبريرات هشة، لكل ما يفعله أبناؤهم.

٤. وثمة فئة من المربين الربانيين الذين يعاملون أبناءهم كما عامل الله تعالى عبده آدم عليه الصلاة والسلام؛ فالأصل فيهم أنهم مكرمون، ووقوع الخطأ منهم لا يبرر إهانتهم، كما أن قابلية بني آدم ليكونوا ممن ﴿يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ لم يمنع من إسجاد الملائكة لأبيهم، ولم يمنع من وقوعهم في عموم التكريم ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ إن حضور هذا الخلق في التعامل يجعل الذرية آمنة مطمئنة، تعلم بأنها مكرمة لا مهينة.

٥. وعلى أن التكريم لا يعني انعدام العقاب؛ فإن الله تعالى قرن قبول توبة آدم وإخراجه من الجنة

في آيتين متتاليتين؛ ليعلمنا أنه لا تنافي بينهما ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ٣٦ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧﴾ (البقرة ٣٦-٣٧).

كانت هذه بعض اللمحات السريعة التي أردت أن أجعلها أصلا نعود إليه إن شاء الله فيما سيأتي من صفحات، والله أعلم بالصواب، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

ظهر غرة رمضان - ١٤٣٧

مسجد الخويلية

الدعاء بوهب الذرية

١

من أوائل الآيات التي عرضت الدعاء بوهب الذرية دعاء زكريا -عليه السلام- في سورة آل عمران؛

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾

(آل عمران ٣٨-٣٩).

وهذه الآيات صريحة في أن زكريا -عليه السلام- كان يرغب في أن تكون له (ذرية) والذرية لا تنقطع؛ فبعد الأولاد يأتي الحفدة ثم أولاد الحفدة، وهكذا يتناسلون إلى ما شاء الله.

والصفة التي أرادها زكريا لذريته هي أن تكون (ذرية طيبة).

وعلى أن دعاء زكريا ورد في سياق آخر في صدر سورة مريم: ﴿كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾﴾

(مريم 1-6).

وثمة احتمال بأن يكون هذا الموقف عين الموقف السابق، وثمة احتمال أن يكون موقفًا آخر في ليلة أخرى.

وأيا كان الأمر فإن الدعاء في سورة آل عمران مجمل مختصر، وهو في سورة مريم مفصل؛ بدأه المولى -سبحانه- بالثناء على هيأته فوصفه بأنه (نداء خفي)، ثم قدّم فيه زكريا:

١. ما يدل على عظيم افتقاره ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا ﴾

٢. وعظيم ثقته بربه ﴿ وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴾

٣. ومخاوفه التي تدعوه للرغبة في الولد ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي ﴾

٤. وذكر الأسباب الظاهرة الداعية لليأس من النسل؛ ليثبت أنه لا يعول عليها ﴿ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا ﴾

٥. ثم قدم دعاءه بالولي - لا بالذرية كما في سورة آل عمران - فقال: ﴿ فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦ ﴾

وقد ورد دعاء زكريا مرة ثالثة في سورة الأنبياء ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾﴾ (الأنبياء ٨٩).

وهذا الدعاء يختلف عن الدعاءين السابقين في أنه ليس صريحا لا في طلب الذرية ولا في طلب الولد؛ فقد تأتي الإجابة بوهب الأخ؛ كما قال الله عن موسى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾ (مريم ٥٣)، وقد تأتي الإجابة بوهب الحواريين والأنصار؛ كما وهب الله عبديه عيسى ومحمدا -عليهما الصلاة والسلام-.

والذي يبدو أن دعاء زكريا -عليه السلام- لم يكن دعاء واحدا، بل هي مواقف مختلفة؛ وما أحراه بالإلحاح في دعاء ربه وهو النبي العابد الناسك!

أما إجابة الله فهي إجابة واحدة، جاءت بعد إلحاح في الطلب، وبعد ضراعة وإخبات، وخضوع وخشوع.

وحين جاءت الإجابة جاءت بولد جمع من كمالات البشر ما تفرق في غيره؛ وخصه الله بأربع عشرة صفة؛ فقال: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾ (آل عمران ٣٩).

﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾﴾ (مريم ٧).

﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾ (مريم ١٢-١٥).

وذكر له ثلاث صفات اشترك فيها مع أمه وأبيه

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ (الأنبياء ٩٠).

هذا ما فتح الله به الساعة، ولئن أذن لي - سبحانه - لأكتبن ٣ تدوينات أخرى عن الدعاء بوهب الذرية؛ وهي:

١. دعاء إبراهيم عليه السلام.
٢. العزلة ووهب الذرية في سورة مريم.
٣. ملامح تربوية من الدعاء بوهب الذرية.

هذا ما أجراه الله على قلم عبده المفتقر إلى رضاه

عبدالله بن عامر العيسري
صبح الأربعاء ٢ من رمضان ١٤٣٧
مسجد الخويلية - إبراء حرسها الله

٢

لم يرد عن إبراهيم -عليه السلام- دعاء صريح بوهب الذرية سوى دعاء قصير في سورة الصافات؛ وهو قوله: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ (الصافات ١٠٠).

والمتدبر يلمح عدة ملاحظ:

أولها: أن هذا الدعاء كان قبل شيخوخته -عليه السلام- لأنه جاء بعد منابذته لقومه؛ ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ (الصافات ٩٧-١٠٠)

ثانيها: أن إجابة الدعاء كانت سريعة؛ فقد وهبه الله إسماعيل -عليه السلام-: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ (الصافات ١٠١-١٠٢)

وثالثها: أن استجابة الدعاء دامت إلى شيخوخته؛ فقد وهبه الله إسحاق -عليه السلام- ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾﴾ (الصافات ١١٢).

ورابعها: أن استجابة الدعاء استمرت إلى من بعد إسحاق؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١﴾ (هود ٧١).

وخامسها: أن إبراهيم ـعليه السلامـ ألحَّ في دعائه قبل وهبه الولد، وبعد وهبه؛ فبقيت إجابة الدعاء دائمة إلى قيام الساعة؛ وقد أتمها ربه عليه بأن جعله أبا لخاتم الأنبياء نبينا محمد ﷺ

وسادسها: أن الله لم يجعل كل ذرية إبراهيم من الصالحين؛ لأن إرادته ـسبحانهـ قد اقتضت أن يبتلي بني آدم كما ابتلى أباهم

أما بنو إسحاق فقد قال الله ـتعالىـ عنهم: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم﴾ (الصافات ١١٣).

وأما عموم ذريته فقال عنهم: ﴿۞ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ١٢٤﴾ (البقرة ١٢٤).

هذا ما بان لي، وإلا فإن أسرار القرآن لا تنقضي، والذي أوصي به نفسي وأوصي به المؤمنين أن يلحوا بهذا الدعاء المبارك، وأن يعلموه أبناءهم صغارا

وكبارا؛ فإن الله يجيب الدعاء، ومن أجاب الله دعاءه كان له مثل أجر الصالحين من ذريته إلى أن تقوم الساعة، ويا لها من صفقة رابحة لا تفوت التجار مع الله!

فاللهم إني أسألك في هذا اليوم المبارك وفي هذا المكان المبارك ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾.

وكتبه راجي فضل ربه
عبدالله بن عامر العيسري
عصر الأربعاء ٢ من رمضان ١٤٣٧
مسجد الخويلية - إبراء باركها الرحمن
وبارك الصالحين من أهلها

٣

ما لم يقله الأطباء من علاج للعقم

تخيلوا معي هذا المشهد:

زوجان يدخلان على طبيب، فيشكوان له العقم، ويبلغانه أنهما طرقا كل العيادات والمستشفيات فما وجدا علاجا ولا ما يشبه العلاج.

نكس الطبيب رأسه هنيهة وهو يقرأ الملف الذي أمامه، ثم قال بصوت وادع ساكن:

- علاجكما قد يكون في العزلة المؤقتة

الرجل حملق في عيني الطبيب:

- من أين لك هذا العلاج العجيب؟ ومن أي الجامعات خرجت أنت؟

لم يخرج الطبيب عن صمته وهدوئه، بل تناول مصحفا من خزانته، وفتح للزوجين سورة مريم، وقال لهما:

- تدبرها تعرفْ من أين أتيت بالعلاج!

ولعل الطبيب يخاطبنا كلنا بقوله: (تدبرها)، فلنفعل ففي ذلك غُنْمٌ وأيُّ غُنْمٌ.

إن سورة مريم تتألف من عدة قصص؛ وهي على الترتيب:

١. قصة زكريا وابنه يحيى -عليهما السلام-.
٢. قصة مريم وابنها عيسى -عليهما السلام-.
٣. قصة إبراهيم وابنه وحفيده إسحاق ويعقوب -عليهم السلام-.
٤. قصة موسى وأخيه هارون -عليهما السلام-
٥. إسماعيل -عليه السلام- وأمْره أهلَه بالصلاة.
٦. إدريس -عليه السلام-.
٧. آية فيها إشارة لكل من ذكروا في القصة، وكيف صار خلفهم.
٨. انقسام الناس إلى مؤمن وكافر، مع جزاء كل واحد.

هذا من حيث العموم، أما التفصيل فإن أول قصة في سورة مريم كانت عن زكريا -عليه السلام-، بدايتها عزلة ونهايتها وهب؛ إذ وهبه الله يحيى -عليه السلام- بعد #العزلة_المؤقتة

فقد كان زكريا معتزلا في المحراب؛ ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣﴾ (مريم ٢-٣).

وبعد دعائه في عزلته جاءته البشرى ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧﴾ (مريم ٧).

ولما طلب الآية جاءه الجواب بأن يختلط بالناس ولكنه يعتزلهم -في الوقت عينه- عزلة شعورية؛ فهو معهم بجسده، ولكن روحه معلقة بربه ﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ۝١٠ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ۝١١﴾ (مريم ١٠-١١).

أما ثاني قصة في سورة مريم فكانت عن مريم -عليها السلام-، بدايتها عزلة ونهايتها وهب؛إذ وهبها الله عيسى -عليه السلام- بعد #العزلة_المؤقتة

تبدأ القصة بالعزلة عن أهلها؛ ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ۝١٦ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا﴾ (مريم ١٦-١٧).

وفي عزلتها جاءتها البشرى بوهبها عيسى -عليه السلام-؛ ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۝١٧ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ۝١٨ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ۝١٩ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ۝٢٠

قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ (مريم ١٧-٢١).

ويتكرر بعد الوهب أمرها بالعزلة الشعورية؛ فتخالط الناس ولكنها لا تكلمهم، وقد جاءها هذا الأمر -فيما يظهر- على لسان وليدها عيسى -عليه السلام-: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ (مريم ٢٤-٢٦).

فإن جئنا إلى ثالث قصة في سورة مريم وجدناها عن إبراهيم -عليه السلام-، وهي على سنن سابقتيها؛ بدايتها عزلة ونهايتها وهب، إذ وهبه الله إسحاق ويعقوب بعد #العزلة_المؤقتة

فإنه -عليه الصلاة والسلام- بذل جهدا جاهدا مع أبيه وقومه، حتى رأى أنه قد وصل إلى طريق مسدود، فجاء بها صريحة واضحة: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ (مريم ٤٧-٤٨).

والقرآن صريح في أن الوهب كان نتيجة للعزلة ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾ (مريم ٤٩-٥٠).

أما رابع قصة في سورة مريم فقد كانت عن نوع آخر من أنواع الوهب؛ إذ كانت عن موسى -عليه السلام-، بدايتها عزلة ونهايتها وهب؛ إذ وهبه الله أخاه هارون نبيا بعد #العزلة_المؤقتة

وقد كانت عزلته -عليه السلام- عند الطور ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾ (مريم ٥١-٥٣).

إن هذه القصص الأربع كلها تدور حول الوهب، وفيها أحداث لم يألفها الناس، وفيها تنويع في وهب الله لعباده

- فزكريا وُهِب يحيى وقد بلغ من العمر عتيا، ولكنه لم يوهب الذرية؛ إذ لم يرد أن ولده يحيى وُهب ولدا، بل إن بعض المفسرين فسر قوله -سبحانه- ﴿وَحَصُورًا﴾ أنه لا ذرية له.

- ومريم وهِبت عيسى ولم يمسسها بشر، وولدها كذلك لم يوهب الذرية.

- أما إبراهيم فقد وهِب الولد والذرية وامرأته عجوز وهو شيخ.

- وأما وهب موسى فمختلف تماما؛ إذ لم يوهب الولد، بل وُهِب الأخ، فكان أخوه عضدا له وشريكا في أمره.

ويلاحظ المتدبر أن الله -سبحانه- بعد أن ذكر موسى ذكر إسماعيل وإدريس والذين أنعم الله عليهم من ذرية نوح وأثنى على حفاظهم على الصلاة،وهي أهم صور #العزلة_المؤقتة فتدبروا معي قوله –سبحانه- :

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴿٦٠﴾ (مريم ٥٨-٦٠).

وهكذا نجد أن قصص سورة مريم تسير على سنن واحد؛ إذ تبدأ كل قصة بنوع من #العزلة_المؤقتة وتنتهي بالوهب.

وبقي أن نختم بملاحظ مهمة حول العزلة المؤقتة وعلاقتها بالوهب:

- **أول** هذه الملاحظ أن الخلطة بالناس هي الأصل الذي لا يختلف فيه عاقلان، لكنها تسبب قسوة القلب وتؤدي إلى البغي، فلطف الله بعباده إذ شرع #العزلة_المؤقتة لتطهير النفس.

- **وثانيها**: أن العزلة المؤقتة إن كانت خالصة لله فإن الوهب حاصل لا محالة؛ ولكن يبقى أن نوع الوهب أمره لله الحكيم القدير؛ فهو قادر أن يهب الولد، أو يهب الأخ، أو يهب الولي الحميم؛ وهذا المعنى تنبه له أصحابنا أهل الاستقامة؛ ففي القرن الثاني مارس أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة -رضي الله عنه- #العزلة_المؤقتة فكان الوهبُ دُوَلَ عدلٍ أقامها الله على يديه في صنعاء وعمان والمغرب والأندلس، وهكذا مارسها المحقق الخليلي والنور السالمي -رحمهم الله - فَمَكّن الله لهم في الأرض.

- **وثالثها**: أن اللجوء إلى #العزلة_المؤقتة لا يعني ترك الأخذ بالأسباب؛ فقد يجعل الله نتيجة العزلة أن تحمل المرأة إثر علاج كانت تتناوله سنين متطاولة، وما كان يجدي من قبل.

هـذا مـا بـان لي، فـإن أصبـت فذلك فضـل من الله، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان.

وكتبه عبدالله بن عامر العيسري

أصيل الجمعة الغراء ـ الرابع من رمضان المبارك ـ ١٤٣٧

#مسجد_الخويلية ـ #إبراء حرسها الرحمن

ملامح تربوية من الدعاء بوهب الذرية

ذكرنا فيما سبق الأدعية الصريحة بوهب الذرية؛ وهي:

- ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾
- ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾
- ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾﴾
- ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾﴾

ومن يتدبر هذه الأدعية النبوية المباركة؛ يلمح عدة أمور، ومنها:

- **أولا**: أنها كلها تبدأ بنداء واحد (رب)، والرَّبُّ يُطْلَق في اللغة على المالكِ، والسَّيِّدِ، والمُدَبِّر، والمُرَبِّي، والقَيِّم، والمُنْعِم،'' (لسان العرب)

والبدء بهذا النداء يتضمن اعترافا بأن الله هو المالك لمن يناديه وللموهوب المنتظر، وهو السيد والقيم والمنعم

وهذا النداء فيه إقرار من المنادي بأنه سيربي ولده على هذا النهج؛ فتكون طاعته المطلقة محصورة لربه، لسيده ومالكه، للقَيّم على أمره، للمنعِم عليه.

وهذا الإيمان هو محور التربية القرآنية القائمة على صنع عباد يؤمنون بأنه لا حكم إلا لله، ولا طاعة مطلقة إلا له سبحانه ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ (يوسف ٤٠).

- **ثانيا**: تكرر الجذر (وهب) يعني أن المولود (هبة) من الله، وهذا الجذر كثير التكرار في القرآن، سواء في مقام الدعاء، أو في مقام الإخبار بمنن الله على عباده؛ ومن ذلك ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾﴾ (الشعراء ٢١).

﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾﴾

(الشعراء ٨٣).

قال ابن منظور في اللسان: في أسماءِ اللّه تعالى: الوَهَّابُ.

الهِبةُ: العَطِيَّة الخالية عن الأعْواضِ والأغْراضِ، فإذا كَثُرَتْ سُمِّي صاحِبُها وَهَّاباً، وهو من أبنية

الـمُبالغة. غيره: الوَهَّابُ، من صفاتِ اللّه، الـمُنعِمُ على العباد، واللّهُ تعالى الوهَّابُ الواهِبُ.

وكلُّ ما وُهِبَ لك، من ولَد وغيره: فهو مَوهُوبٌ،،

انتهى

ولعل الغاية من تكرار هذا الجذر أن تلين قلوب الموهوبين من آباء وأمهات حين يعاملون أبناءهم؛ فإن من وهبك شيئا لا يرضى أن تعامل هبته بالمهانة والاحتقار، وإلا كف عن تكرار هبته، فكيف إن كان الواهب هو الله، وكيف إن كانت هبته الخلق الذين كرّمهم وأسجدَ لأبيهم ملائكتَه؟

- **ثالثا**: يلاحظ أن الداعي في هذه المقامات يطلب الهبة لنفسه فقط؛ فإبراهيم وزكريا كلاهما قال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي﴾.

ويقابل ذلك الدعاء للذرية -الذي سيأتي تفصيله إن شاء الله- فهو دعاء يتنوع بين دعاءِ فردٍ لفرد، وفردٍ لجمع، وجمعٍ لفرد، وجمعٍ لجمع.

وعلى أن من المُسَلَّمِ به أن زوج إبراهيم كانت تريد الذرية، وزوج زكريا كذلك، فعلام لم يقولا: (ربنا هب لنا) لتشترك معهما زوجاهما؟

والجواب عن ذلك -والعلم عند الله- أنه يحتمل أن الرجل في مثل هذه الأحوال يريد الوهب وإن من زوج أخرى غير التي معه.

والملمح التربوي هنا أن على الرجل أن يستجيب لنداء فطرته بالبحث عن طريق مشروع لوهب الولد، لا سيما إن ثبت لديه أن امرأته عقيم.

ومن أسف أن يكبت الرجل هذه الفطرة تحت دعوى الوفاء لامرأته، وبذلك يقطع على نفسه الأخذ بالأسباب لوهب الذرية.

- **رابعا**: ما ذكرناه في البند الثالث نعني به أن يأخذ الرجل بأسباب جديدة للنسل إن انقطع أمله من حصوله من امرأته، وإلا فإن ما ينطبق على الرجل من عطش لأن يوهب الولد ينطبق على المرأة، وهذه الأدعية النبوية كانت المرأة حاضرة فيها؛ أما زكريا -عليه السلام- فقد قال: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥﴾ (مريم ٥) فلما جاء الوهب جاءه من نفس تلك المرأة ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ والسبب ذكرته خاتمة الآية ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ (الأنبياء 90).

وإبراهيم كذلك وُهب الولد من امرأته تلك؛ فهي ضمن أهل البيت الذين خصهم الله برحمته وبركاته ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١ قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ٧٢ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ٧٣﴾ (هود ٧١-٧٣).

والملمح هنا أن على المرأة التي تريد الوهب أن تأخذ بالأسباب، وتلح في الدعاء، وتكثر من التضرع لله بهذه الأدعية النبوية المباركة، وتستحضر النية بأنها إن وهبها الله ولدا ربته على طاعة الله، وأكرمته لأنه هبة الله.

-خامساً: يلاحظ أن الداعين ذكروا صفات يريدونها في الموهوب ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةً﴾ ﴿وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا﴾

والملمح التربوي هنا أن المؤمنين يربون أولادهم على أعلى صفات الكمال البشري الممكنة؛ ولو تحققت هذه الصفات في بعض البشر -مهما قل عددهم- فإنهم سيعيدون صناعة مستقبل العالم.

- **من الصالحين:** تعني أنه لا مكان بينهم للفساد بكل صوره وأشكاله.

- **ذرية طيبة:** تعني أنه لا مكان للخبث بينهم؛ فلا خيانة ولا رشوة ولا تحلل من الأخلاق.

- **رضيا:** تعني أن الله راض عنه، وهو راض عن الله، وهكذا حاله مع بني آدم.

لقد جاء أمثال إبراهيم وزكريا -عليهم الصلاة والسلام- في وقت فسدت فيه أحوال العالم، فربوا رجالا قليلا عددهم، ولكنهم غيروا أحداث التاريخ.

والمسلمون اليوم -بني إبراهيم- حري بصالحيهم أن يربوا ذرياتهم على ذات المسلك، إن أرادوا ذات النتيجة.

أما كيف تكون تلك التربية؟ فأحسب أننا ذكرنا بعض الخطوات العملية فيما مضى من هذا الكتاب، وسوف نذكر بعضا منها فيما يأتي منه إن أذن الله بذلك ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾

وكتبه عبدالله بن عامر العيسري

فجر السبت - الخامس من رمضان المبارك - ١٤٣٧

#مسجد_الخويلية - #إبراء حرسها الله

الفصل الثاني

الدعاء للذرية

أفضل ١٣ دعاء للأولاد والذرية

- **أدعية من القرآن**
- **دعا بها الأنبياء**
- **والصالحون**
- **وذكر الله نتيجة الدعاء بها**
- **هي أدعية لكل الأبناء، من أطفال وبالغين**

في الفصل الماضي تدبرنا آيات الدعاء بوهب الذرية، وفي هذا الفصل سوف نتدبر آيات الدعاء للذرية؛ فإن المؤمن يشتغل بالدعاء والثناء على الله في كل حال.

وقد أحصيت ما استطعت من آيات فيها دعاء للذرية، بين دعاء خاص ودعاء عام، وسوف أذكرها أولا مقسمة حول موضوعاتها، ثم أكتب ما فتح الله به فيما بعد.

١- الدعاء بعد الولادة مباشرة

وقد دعت به أم مريم -عليهما السلام- ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾ (آل عمران ٣٦).

ويا لرحمات الله حين تتنزل؛ فقد أجاب الله دعاء أمَتِه لأمته ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ (آل عمران ٣٧).

هذا الدعاء المبارك ما قصه الله -تعالى- علينا إلا لندعو به؛ فينبغي عند ولادة الأنثى أن نقول: (رب إِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) فإن كان ذكرا فلنقل: رب إني أعيذه بك وذريته من الشيطان الرجيم

وهذا الدعاء يتأكد عند الميلاد، ولكنه ينبغي أن يكون ضمن الزاد الذي نهبه ذريتنا عقب الصلوات، وحيثما ذكرنا.

٢- الدعاء عند الكعبة

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ (البقرة ١٢٧-١٢٨).

فينبغي للرجل إن كان معه زوجُهُ أو ولدُه أن يدعو بهذا الدعاء في المكان ذاته الذي دعا فيه إبراهيم وإسماعيل -عليهما الصلاة والسلام- ،وهو دعاء مطلوب في كل وقت، وإن كان الداعون جمعا فليقل الداعي (واجعلنا مسلِمين) بصيغة الجمع.

٣- الدعاء بتجنيبهم عبادة الأصنام

وهو من دعاء إبراهيم - عليه الصلاة والسلام-:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ (ابراهيم ٣٥-٣٦).

٤ـ الدعاء بأن يهوي إليهم أفئدة من الناس

﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾ (ابراهيم ٣٧).

٥ـ الدعاء لهم بالثمرات

وقد جاء عن إبراهيم ـعليه السلامـ مرتين :

ـ الأولى في سورة البقرة؛ بلفظ عام لأهل مكة:

﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٢٦﴾

(البقرة ١٢٦).

ـ والثاني في سورة إبراهيم خاصا لذريته: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾ (ابراهيم ٣٦).

٦- حمد الله على وهب الأولاد بأسمائهم

وهو فعل إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- حين قال: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٣٨ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٩﴾ (ابراهيم ٣٨-٣٩).

٧- الدعاء لهم بأن يكونوا مقيمي الصلاة

وهو كذلك من دعاء إبراهيم: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ٤٠﴾

(ابراهيم ٤٠).

٨- الدعاء لهم بأن يكونوا من الصالحين

وهو كذلك من دعاء إبراهيم، وقد ذكرناه في الفصل الماضي ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾

٩- الدعاء لهم بأن يكونوا ذرية طيبة

وهذا دعاء زكريا - الذي سبق ذكره - ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٨﴾ (آل عمران ٣٨).

١٠ـ الدعاء للولد بأن يكون وريثا لأبيه

وهو كذلك من دعاء زكريا: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾

١١- الدعاء للولد بأن يكون رضيا

وهو ما ختم به زكريا دعاءه حين قال: ﴿وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾

١٢- دعاء الرجل لذريته عند بلوغه الأربعين

قال الله -جل جلاله-: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝١٥﴾ (الأحقاف ١٥).

ثم ذكر ثمرة هذا الدعاء فقال: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ (الأحقاف ١٦).

وتخصيص الدعاء لمن بلغ الأربعين لا يعني أنه ليس مشروعا لمن كان دونها أو فوقها

١٣- سؤال الله بأن يكونوا قرة أعين لوالديهم

وهي صفة لعباد الرحمن ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ (الفرقان ٧٤).

هذا ما وقف إليه جهدي القاصر اليوم، وعسى أن يكرمني ربي بتدبر هذه الأدعية العظيمة، وجني ما يأذن به الله من إشاراتها التربوية.

وكتبه العائذ بحمى مولاه
عبدالله بن عامر العيسري
عصر الأحد - الخامس من رمضان ١٤٣٧
#مسجد_الخويلية - #إبراء حرسها الحفيظ العليم

دروس من دعاء
الصالحين لذرياتهم

- **الدرس الأول:** النظرة البعيدة؛ فمعظم الأدعية كانت دعاءً للذرية، ولم تكن دعاء للأولاد وحدهم، فالذرية تشمل الأولاد والأحفاد وأولاد الأحفاد إلى قيام الساعة.

ولنا أن نعيش مع أم مريم -عليهما السلام- وقد وضعت ابنتها للتوة، فكانت بين يديها رضيعا صغيرة ناحلة، ولكن الأم -بما هداها ربها- لم تدعْ لابنتها فحسب؛ بل دعت معها لذريتها ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾ (آل عمران ٣٦).

كان طموح الأم ممتدا إلى المستقبل كله، وهكذا فلنكن مع (ذرياتنا) فنحن نتعامل مع أطفال صغار سرعان ما يكبرون، وكما يعنينا شأنهم يعنينا شأن ذرياتهم، ولذلك ندعو بدعاء إبراهيم ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ (البقرة ١٢٧-١٢٨)

وندعو بدعاء المؤمنين ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ (الفرقان ٧٤).

وفي هذا السياق أعجب ممن يعجب من تكنية الأطفال بأبي فلان وأم فلان! أو يعجب من إثارة عقولهم ليتخيلوا مستقبلهم بعد عقدين من الزمن وقد تزوجوا وأنجبوا!

وأقول -تحدثا بنعمة الله- بأنني لا أكاد أنادي صغاري بأسمائهم؛ بل بِكُناهم؛ فسعيد أبو القاسم، وعامر أبو عبيدة، والنضار أم أبي حيان

- **الدرس الثاني:** الطموح؛ فإن رغبات المؤمنين لذرياتهم لا تقف عند حدود المطامح الهزيلة، بل يضيق عن دركها رحب الفضاء، ولا تقف إلا عند باب الحضرة القدسية.

فهذا إبراهيم -عليه السلام- حين جعل الله له الإمامة، لم يكتف بها لنفسه، بل أرادها لذريته ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ (البقرة ١٢٤).

وقد ورث عنه طموحه هذا جموع عباد الرحمن من بعده، فاستحقوا الثناء من ربهم - جل وعلا - فخلد دعاءهم في سورة الفرقان: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ (الفرقان ٧٤).

هكذا فليكن مرادنا لأنفسنا ولذرياتنا؛ إمامة المتقين، العلو والرفعة، المنزلة التي لا يطالها كل أحد.

وهكذا فلنزرع في نفوسهم أنكم خُلِقتم لمنازل لا يطالها كل أحد، فلا ترضوا بما دون النجوم، بل إن رضاكم بمنازل النجوم نقيصة، فاربؤوا بأنفسكم عنها.

ومما أذكره أنني حين ولد لي عامر خاطبته بقولي:

جاوِزِ الفَرقدينِ سامِ الثُرَيَّا

لَا تَقَانَعْ بالأرضِ ما دُمتَ حَيّا

وَتَخَطَّ الأفْلاكَ لا تَرْضَ مِنْهَا

وَاحِدًا أوْ يكونَ شَيئًا فَرِيّا

خَطَبَتْكَ الأمجادُ يا ابنَ المعَالي

وَدَنَتْ مِنكَ، عَامِ خُذْهَا صَبِيّا

- **الدرس الثالث:** الشمول؛ فإن دعاء الأنبياء والصالحين لذرياتهم لم يدع جانبا من جوانب الدنيا والآخرة لم يشمله؛ فهو دعاء طلب لهم أسمى صفات الكمال البشري (ذرية طيبة) (من الصالحين)

وهو دعاء طلب لهم الساكنين الذين يأنسون بهم، والثمرات التي يطعمونها ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾

وهو دعاء طلب لهم إمامة المتقين، وطلب لهم غير ذلك من المنازل الرفيعة في الدنيا والآخرة

وهكذا فليكن شأننا مع (ذرياتنا) نبني لهم الأمجاد بصالح أعمالنا ودعائنا، ونمهد لهم السبيل، لكل ما يصلح دينهم ودنياهم.

ولْتَمْتَدَّ أحلامنا إلى حال ذرياتنا بعد قرنين أو خمسة قرون، فما ندعو به لهم اليوم تنالهم بركته ولو بعد ألف قرن، ومن كان في شك فلينظر إلى مكة؛ ألم تكن واديا غير ذي زرع؟ وهل حالها اليوم إلا من أثر دعاء إبراهيم لذريته؟!

وأختم هذه التدوينة بنصيحة خالصة بحفظ الأدعية القرآنية للذرية، فاحفظوها واجعلوها من وردكم اليومي:

- بعد الصلوات المكتوبة
- وفي التهجد
- وكلما رأيتم أحد أولادكم
- وادعوا بها لكل ذريات المسلمين

والله أسأل لي ولكم ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾

كتبه عبدالله بن عامر العيسري

صبح الإثنين - السابع من رمضان ١٤٣٧

#مسجد_الخويلية - #إبراء حرسها الرحمن

نوايا الحوامل
كما صورها القرآن
(١-٢)

في القرآن الكريم صورتان متقابلتان للنساء الحوامل؛ من حيث النوايا والوعود التي يطلقنها:

- **الصورة الأولى:** وعد الله بالشكر، وهو وعدٌ سرعان ما يتبدد، وهذه الصورة الغالبة للآباء والأمهات، لا للأمهات وحدهن، ولذلك صورتها آيات القرآن الكريم على اعتبارها قاعدة عامة، وما عداها فهو استثناء.

هذه الصورة جاءت في سورة الأعراف في قول العليم الخبير: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾﴾

- أما الصورة المقابلة فهي صورة القلة المؤمنة التي تفي بما وعدت به الله؛ وقد مثّل لها القرآن المجيد بامرأة عمران -عليهما السلام- ؛ حيث نذرت ووفت بنذرها ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ

ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾

هذا هو الإجمال، أما التفصيل فأقول فيه مستعينا بالله:

ثمة وقفات نكرم بها أنفسنا مع الآيات الكريمة التي تحدثت عن الفئتين؛ أما آيات سورة الأعراف فلنا معها خمس وقفات:

- **الوقفة الأولى:** ذكر بعض المفسرين أن المقصودين في الآيات آدم وزوجه، ولا أدري كيف غفلوا عن تدبر السياق؟!! فهو ينفي عنهما ذلك نفيا تاما؛ فكيف يصح أن يُنسب إليهما؟ ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

أما إن كان سبب هذا الوهم أن أول الآيات قوله سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ فالجواب أن في الآية التفاتا؛ والالتفات كثير في كتاب الله تعالى؛ ومن أمثلته التي وردت في الصفحة المقابلة لهذه الآيات قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾﴾؛ فقوله (وَإِخْوَانُهُمْ) لا يقصد بها

إخوان المؤمنين؛ فإن إخوان المؤمنين يثبتونهم على الهدى، ويقودونهم إلى الرشد.

ولكن المقصود به أن الشياطين يمدون أتباعهم في الغي، أو أن أتباع الشياطين يمدون بعضهم بعضا في الغي؛ فالآيات بدأت بالحديث عن المؤمنين، ثم التفتت إلى فئة أخرى؛ وهكذا كان قوله سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ فهو حديث عن آدم وزوجه، ثم التفتت تتمة الآية إلى الحديث عن السواد الأعظم من بني آدم وبناته.

- **الوقفة الثانية:** قوله سبحانه: ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾ يُشعر المتدبر بأن الحامل -إن كانت من هذه الفئة- تمر أشهر حملها الأولى وهي بعيدة كل البعد عن الدعاء، وعن اللجوء إلى الله؛ فهؤلاء لا يذكرون الله إلا في الشدائد والكُرب، أما حال الرخاء فهم مشغولون بهمومهم الصغيرة، ومطامحهم الدنيا.

- **الوقفة الثالثة:** هذا الصنف من البشر يطلقون الوعود، ويلحون بالدعاء حينما يكونون في حال شدة أو حاجة؛ فالمرأة في أشهر حملها الأخيرة تشعر بثقل الحمل، وهي إلى ذلك تتوجس خيفة أن يخرج الجنين مريضا، أو خديجا، أو مصابا بأي صفة تقابل (الصلاح).

ومن عادتهن أن يفضين إلى بعولتهن بهذه المخاوف؛ ليكونوا لهن سندا وعضدا.

وحسب تصوير القرآن فإن الدعاء يأتي من المرأة وزوجها معا ﴿فَلَمَّآ أَثۡقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾

وعلى أن اللجوء إلى الله في مواقف الشدة لا يقتصر على حال ثقل الحمل؛ بل هو سمة عامة تطبع حياة هؤلاء المحرومين من التوفيق؛ وأمثلته في القرآن أكثر من أن يحصيها حديثنا هذا، فنقتصر على بعض الآيات التي ذكرت صور الدعاء وصور الوعود التي يطلقها هؤلاء حينما تضيق بهم السبل؛ فمن ذلك قوله -سبحانه-: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ ومنها قوله -جل جلاله-: ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنۡ ءَاتَىٰنَا مِن فَضۡلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾، ومنها قوله -عز وجل-: ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ﴾

- **الوقفة الرابعة:** تعاضدت الأدلة من القرآن على أن إخلاف العهد طبع في بني آدم، والموفون به قلة قليلة؛ فلو نظرنا إلى الوعود التي مثلنا بها في الوقفة السابقة لوجدناها كلها وعودا كاذبة؛ فتدبروا معي وعد الحامل وزوجها ﴿فَلَمَّآ أَثۡقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٨٩ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحٗا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ١٩٠﴾، وانظروا إلى وعد الذين جاءهم الموج من كل مكان ماذا فعلوا حينما بلغوا بر الأمان ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ٢٢ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٣﴾، وتدبروا وعد الذين سألوا الله من فضله

كيف كان حالهم حين أجاب الله دعاءهم ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾﴾

- **الوقفة الخامسة:** إن الشركاء الذين جعلهم هذا الصنف من الوالدين شركاء غير معينين؛ بل هم (شركاء) مطلقون؛ بدليل قوله -سبحانه-: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

فهؤلاء الشركاء قد يكونون بشرا، أو شجرا، أو حجرا، أو متاعا، وفي عصرنا هذا قد يكون الشركاء أجهزة، أو ربما يكونون فكرة يوجه الوالدان ولدهما ليعيش لأجلها.

والشِّرك -كما هو معلوم- ضروب كثيرة؛ فمنه شِرْك ظاهر جَلِيٌّ، يُخرج صاحبه من ملة الإسلام، ومنه شرك دقيق خفِيّ، يبقى لصاحبه حكم الإسلام في الدنيا، ولكن المتلبس به على خطر عظيم.

إن الزوجين الذين يتلطخان بهذه الصفة الدنيئة لا يجنيان من ولدهما سوى العذاب والشقاء، وإن حسبا غير ذلك؛ وسنتعرض لتفصيل ذلك عند تدبرنا لقوله

سبحانه: ﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ﴾، أما من نذر ولده لله فهو في نعيم مقيم، في الدنيا والآخرة، كما سنفصله في الوقفات القادمة -إن شاء الله تعالى-.

وكتبه الراجي رحمة مولاه عبدالله بن عامر العيسري

في الهزيع الأوسط من ليلة الاثنين الحادي والعشرين من رمضان ١٤٣٧ في بيتي، وقد أذن الله بتمام هذه التدوينة بعد صلاة الفجر في مسجد الخويلية

والحمد لله على لطيف مواهبه

نوايا الحوامل
كما صورها القرآن
(٢-٢)

حاولت أمس أن أكتب هذه التدوينة، ففتحت المصحف على قوله -سبحانه- في سورة آل عمران: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾، فوجدت الآية الكريمة تدفعني دفعا لتدبر ما قبلها وما بعدها، فأخرت الكتابة حتى أنعم بتشرب معانيها.

وقبل أن أكتب لكم ما يفتح الله به أنصحكم بأن تتدبروا هذه الآيات في جلسة واحدة؛ من الآية ٣٣ إلى الآية ٥٥؛ وستعلمون أي فتح وأي بركة في النفس وفي الذرية تتبع الذين أخلصوا دينهم لله، ولم يشركوا به شيئا.

تبدأ الآيات بصف المخلصين من لدن آدم في رتل واحد، في آية واحدة، قليلة كلماتها، سريع إيقاعها؛ ليتولد لدى القارئ شعور بقِصَر الزمن الذي فصل بينهم، فيوقن أن المخلصين الذين اصطفاهم الله لا يكاد يخلو منهم زمن، بل هم حقيقة راسخة ممتدة متتابعة: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾.

وتأتي البشارة لمن أراد أن يكون فردا في هذا الرتل؛ بأن الله قد أراد أن يكون من نسل المخلصين من يسير على هداهم إلى يوم الدين ﴿ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾.

وبعد هذا الإيقاع السريع ترسم الآيات تفاصيل التفاصيل؛ عن ثلاثة أجيال؛ عن الجدة وابنتها وحفيدها، فحدثتنا عن نية الجدة (امرأة عمران) حينما حملت ابنتها (مريم)

ورسمت لنا مشاهد من إخلاصها في لحظات الميلاد.

ثم حدثتنا عن التحاق البنت (مريم) بركب المصطفين، وعن القبول الذي كتبه الله لها عنده وعند ملائكته وعند الناس.

ثم حدثتنا عن الحفيد (عيسى) وعما اختصه الله به من هبات وكرامات.

ولست أريد القفز فوق المراحل؛ فحديثنا هنا عن (نوايا الحوامل)، فلن نتحدث عن غيره، ولكننا ألمحنا إلى هذه الآيات الكريمة إلماحة سريعة ليعلم القراء الكرام إلى أين يمكن أن تصل النية الخالصة لله بصاحبها؟ وكيف أن نية امرأة عمران جعلها الله سببا لاصطفاء ذريتها؟

تبدأ الآية بنذر الجدة ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ وهذه آية لا تنقضي عجائبها، ولكننا نذكر منها بعض ما فتح الله به:

- **فأولا:** بدأت الآية بالنداء (رب)؛ وربُّ كلِّ شيءٍ: مالِكُه ومُستَحِقُّه؛ وقيل: صاحبُه. ويقال: فلانٌ برَبُّ هذا الشيءِ أي مِلْكُه له. وكُلُّ مَنْ مَلَك شيئًا، فهو رَبُّه.

يقال: هو رَبُّ الدابةِ، ورَبُّ الدار، وفلانٌ رَبُّ البيتِ.

والنداء برب فيه منتهى الخضوع والإخبات لله – تعالى-، وغاية الاعتراف منها بأنها أَمَةٌ تُنادي مالكَها -جل وعلا-.

- **ثانيا:** لم تقل: (إني نذرت لك من في بطني)، بل قالت: (إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي)؛ ومن تستعمل للعاقل، وما لغير العاقل، ولا تستعمل إحدى الكلمتين للآخر إلا لنُكتة.

ولعل النكتةَ هنا أنها أرادت أن يشمل النذر ما في بطنها، أيا كان حاله؛ حتى لو خرج وهو خديج أو مضغة غير مخلقة، من باب مبالغتها في تأكيد نذرها.

- **وثالثها:** أنها وصفت ما نذرته لله بأنه مُحَرَّر؛ ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾، والمحرَّر: الذي جُعل من العبيد حرّاً فأُعتق. يقال: حَرَّ العبدُ يَحَرُّ حَرارَةً، بالفتح، أي صار حُرّاً".

هذه هي نيتها لتربية ولدها؛ أن يكون محررا من كل ما عدا عبوديته له؛ تريده محررا من التبعية والانكسار للبشر، أو لحظوظ النفس، أو للشهوات، أو لكل المطامح القصيرة.

وكل ما عدا الله فهو في خلدها عبودية تربأ بولدها عنها، وتريده (محررا) منها، وهي لم تقيد التحرير بشيء؛ ليكون (محررا) من كل عبودية لغير الله.

- **ورابعها:** أن نذرها لم يكن ناشئا عن اضطرار كما هو حال المرأة التي دعت الله لما أثقلت، بل كان نذرها نتيجة إيمان راسخ بالله، وبأن العزة في التذلل له سبحانه، وأن ولدها لن يكون محررا إلا بالخلاص من كل عبودية لغير الله، وعلى أن الآية الكريمة لم تخبرنا متى كان النذر؛ أهو في أول أشهر الحمل أو في وسطها أو في آخرها، ولكن السياق يلمح إلى أنه كان فور علمها بتحقق الحمل.

- **وخامسها:** أنها ختمت نذرها بقولها: ﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾؛ وهكذا هو دأب المصطفين ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾، إن الذين دأبوا على خدمة الملوك يقدمون القرابين والهدايا، وهم بين طرفي الرغب في رضاهم وما يتبعه من

هبات سخية، والرهب من سخطهم وما يتبعه من إبعاد وطرد، وهكذا هم السائرون إلى الله؛ يبتغون إلى ربهم الوسيلة، ويتخذون إليه المآب، وهم بين طرفي رجاء القبول، والخوف من الطرد من رحمته.

- **وسادسها:** أنها جددت نذرها ودعاءها وإخباتها فور ميلاد ابنتها ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾

ولك أن تقابل هذه النية الصادقة عند الحمل، وتأكيدها فور الولادة، بتلك النية المخاتلة حال الاضطرار، وما تبعها من نكث للعهد بعد الميلاد ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ ۖ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾

والخلاصة أن الزوجين المؤمنين يجب عليهما أن تكون نيتهما من الرغبة في الولد أن يكون عبدًا لله؛ يعبده ويأتمر بأمره، وينتهي عن نهيه.

وعلى أن النوايا مراتب؛ فهذه النية هي الحد الأدنى، وأما ما فوقه فلا حد له البتة؛ فمن المؤمنين من يرجو أن يجعله الله وذريته سببا للتمكين لدين الله في الأرض، وأن يكونوا للمتقين إماما

﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾

﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾

والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

وكتبه مؤمل نصر الله وفتحه وتمكينه
عبدالله بن عامر العيسري
فجر الخميس ٢٤ من رمضان ١٤٣٧
مسجد الخويلية - إبراء حرسها الرحمن

ملامح تربوية
من آيات الإحسان
للوالدين

ذكر الله –تعالى- الحمل في عدد من آيات كتابه الحكيم، وعسى أن نكرم أنفسنا بتدبرها آية آية؛ وعلى أننا سنعيش في هذه التدوينة لحظات تَجَلٍّ نقابل فيها بين آيات الحمل في سورتين:

-**الأولى:** في سورة لقمان: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾.

-**والثانية:** في سورة الأحقاف: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

- العوامل المشتركة بين الآيتين:

١. كلتا الآيتين تبدآن بالجملة الفعلية: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾؛ والفعل وصينا جاء بصيغة الجمع (وصينا) مع أن الموصي هو الله الأحد -سبحانه-، وهذا أسلوب تعظيم يتكرر كثيرا في القرآن، حين يكون الأمر الذي يتحدث عنه عظيما، وفي ذلك دليل على عظم الوصية بالوالدين، وعظم شأنها.

٢. تكرار النص في سورتين مختلفتين دليل آخر على عظم الأمر الذي يتحدث عنه.

٣. كلتا الآيتين تبدآن بالوصية بالوالدين، ثم تقتصر الحديث على مكابدة الأم وحدها مشقة الحمل، وفي ذلك إشارة إلى أن حق الأم من البر أكثر من حق الأب.

- آيات سورة لقمان:

١- مواعظ لقمان لابنه عددها تسع؛ وكلها كانت بفعل الأمر (لا تشرك بالله - أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر... إلخ)، ونلاحظ أن آيتَي ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾ أُدخلت بين هذه المواعظ؛ فقد جاء جزء من الموعظة الأولى، وهو قوله سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ

لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ ﴾ ثم تبعتها آية ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ ﴾ ثم استئنفت المواعظ،

فما السر يا ترى؟ وعلام لم تأت آيات المواعظ كلها، ثم تتبعها الوصية بالوالدين؟

والجواب بأن آيات المواعظ لها محور واحد؛ وهو علاقة الإنسان بربه وعلاقته بالخلق كيف ينبغي أن تكون؟

أما علاقته بربه فهي علاقة توحيد وعبودية وطاعة مطلقة ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ ﴾ ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾، وأما علاقته بالخلق فهي علاقة اعتدال بين طرفي التكبر والتذلل ﴿ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴾، وحتى هيئته التي يراه الناس عليها فيها اعتدال ﴿ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴾.

ولو لم ترد آيتا ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ ﴾ لتشق آيات المواعظ التسع لربما ظن ظان أن الوالدين

يسري عليهما ما يسري على غيرهما؛ وأن خفض جناح (الذل) لهما داخل في تصعير الخد للناس، فلطف الله بعباده وجعل هذه الآية رافعة لهذا الوهم.

ويقابل ذلك أن من الناس من يبلغ به إعجابه بوالديه وتبعيته لهما إلى حد الطاعة المطلقة، والطاعة المطلقة لغير الله شرك، فناسب أن تأتي آيتا ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ﴾ وسط الموعظة المحذرة من الشرك؛ فالآية التي قبلهما: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ والآية التي بعدهما ﴿يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾.

٢- نلاحظ أن المواعظ التسع كلها جاءت من لقمان لولده، فعَلامَ لَمْ تندرج الوصية بالوالدين ضمنها؟ وعلام لم يقل لقمان لولده: (أحسن إلى والديك)؟

والجواب: بأنه يحتمل أن يكون في ذلك تربية للوالدين على التطهر من المنّ على أولادهم؛ فإن الأمر المباشر بالطاعة يحمل في طياته مَنًّا عليهم،

والمَنُّ أذىً كبير ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٦٢﴾ ﴿قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذٗىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٞ ٢٦٣﴾، هذا احتمال، وثمة احتمال آخر؛ وهو أن النفوس جبلت على عصيان من طلب شيئا لنفسه، فلو أمر لقمان ولده بأن يُحسن إليه لربما تكبّر وعصى، وهذا الحال ملموس في حياة الناس؛ فإن الرجل يكرر أمره لولده بطاعته فما يجد منهم إلا لجاجا وعنادا، ثم تأتيهم كلمة واحدة من غيره فيذعنون؛ لا سيما إن كان ذلك الآمر كبيرا في الأسرة، أو له وجاهة في مجتمعه. فكيف إن كان الآمر هو رب العالمين، الذي له الحكم والأمر، والملك والقهر.

٣- يُستأنس من قوله -سبحانه-: ﴿حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ﴾ أنه ينبغي تذكير الولد بمكابدة أمه حين حملت به، ويقاس على ذلك مكابدتها بعد ولادته؛ فإن ذلك أدعى إلى ترقيق قلبه، وخفضه جناحَ الذل لها ولأبيه. ومما أذكره ولا أنساه أن عمتي مَيّا - رحمها الله - كانت تحدثني عن طفولتي، ولطالما قصت علي كيف مرضت وأنا رضيع، وأنها كانت تتقاسم الليل مع

أمي -حفظها الله - فتتناوبان على رعايتي حتى ينشق الفجر، واليوم - وقد جاوزت الخامسة والأربعين - ما زالت ذكرى تلك المكابدة تستدر شؤون عيني غزيرة سخينة، وما زالت تدعوني لِبِرّ أمي، ومهما بذلت ومهما فعلت فما أنا موفيها مكابدة وهنها عند حملي، ولا أنا موفيها سهر ليلة من ليالي الشتاء الطويلة، ولا سهر ليلة من ليالي النهار القصيرة.

وعلى أننا نلحظ أن الأم قلما تذكر معاناتها لولدها، فينبغي للمحيطين بها أن يتولوا ذلك؛ لا سيما زوجها الذي عايش وهنها، وسمع تأوهاتها.

٤- بعد تذكير الولد بمكابدة أمه جاء الأمر الرباني بصيغة ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ﴾؛ وهذه الصيغة فيها تأكيد لوجوب شكر الوالدين من عدة وجوه:

- **أولها:** أنها صيغة فعل أمر، والأمر للوجوب ما لم تصرفه قرينة.

- **وثانيها:** أن القرائن كلها تدل على أن هذا الأمر للديمومة والتكرار؛ فهو شكر دائم لا ينقطع، مهما تقدم بالولد أو الوالدين العمر.

- **وثالثها:** أن شكر الوالدين عُطِف على شكر الله – سبحانه- بحرف الواو؛ ولم يعطف بالفاء (أن اشكر لي فلوالديك) ولا بثم (أن اشكر لي ثم لوالديك)؛ للدلالة على أنهما شكران متلاحمان، لا تراخي بينهما.

٥- الحال الوحيد الذي لا تجوز فيه طاعة الوالدين إن جاهدا ولدهما على الشرك بالله ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَا﴾، ومع ذلك فهو مأمور بحسن صحبتهما؛ ﴿وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾.

هذا ما فتح الله به في ثلاثة أيام؛ وهي الثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر من رمضان ١٤٣٧

فله الحمد في الآخرة والأولى

وكتبه عبدالله بن عامر العيسري

في مسجد الخويلية

صفات الولد الصالح في القرآن

(لا يدخل فيها خصائص النبوة والاصطفاء)

١-٤ : ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾

٥-٦ ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾

٧-٩ ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ ﴾

١٠-١٥ ﴿ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ ﴾

١٦- ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴾

١٧- ﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾

١٨-٢٢ ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَنِي بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾﴾

٢٣- ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾

٢٤- ٢٧: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾

٢٨- ٢٩: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾

٣٠- ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩﴾

تم بحمد الله

في هذا الكتاب تجدون تدبرا لدعاء الأنبياء والصـــالحين لذرياتهم في مختلف المواقف والمراحل العمرية.
ويكفيه شرفا أنه يمتح من هدي القرآن ونوره.
رجائي من قرائه أن يحولوا هذه الأدعية إلى ورد يومي؛ ليكونوا شركاء في أجر كل عبادة تتقرب بها ذريتهم إلى الله سبحانه وتعالى.
واذكروني وأهلي وذريتي بدعوة صالحة في ظهر الغيب.
هذا الكتيب اقتطعته من كتابي (**الذرية في القرآن**)
وهو كتاب لم يُنشر بعد؛ فدعاءكم بأن يتم الله نعمته بنشره

أخوكم
عبدالله بن عامر العيسري

a.alisary@alisary.com
/a.a.alisary
/abubalj

برعـايــة